طوفان الأقصى.. المقاومة تصنع المستحيل

أيمن الرفاتي
كاتب ومحلل سياسي

على مدى أعوام طويلة، خاضت المقاومة الفلسطينية معركة الإعداد والتجهيز للمعركة الكبرى مع الاحتلال، وكانت تجهز نفسها ليلاً ونهاراً لذلك اليوم، وقدّمت في هذه المسيرة كثيراً من التضحيات والشهداء. واليوم، تدخل هذه المعركة بكل قوة واقتدار، لتسطر مفاجآت في المستوى السياسي، وفي المستويين الأمني والاستخباراتي، وفي البعد العسكري، الذي لا يشك أحد في نجاحه المبهر منذ بداية ملحمة "طوفان الأقصى".

في هذه المعركة، استطاعت المقاومة الفلسطينية أن تصنع المستحيل بعد ١٧ عاماً من الحصار، إذ سخّرت مقدّراتها وصنعت سلاحها وهرّبت جزءاً آخر، متجاوزةً كل العقبات والضغط والحروب التي كان يراد منها إضعافها. واستطاعت، من خلال استراتيجية واضحة في البناء، الوصولَ إلى حجم قوة عسكرية قادرة على تغيير المعادلات الاستراتيجية.

لا شكّ في أن المعركة الحالية هي الأقسى على "دولة" الاحتلال، فلقد تغير الواقع عما كان في السابق، وانكسرت صورة "إسرائيل" القوية أمام العالم، واستطاعت المقاومة، على مدى سنوات، كسر واقع هذا الكيان لدى أبناء الشعب الفلسطيني ولدى مقاتليها، الذين أهانوا أقوى "دولة" في منطقة الشرق الأوسط.

ما جرى عند حدود قطاع غزة أقرب إلى الحلم، فما كنا نحلم به، كفلسطينيين وكأمتين عربية وإسلامية، ونعتقد أنه قد يحتاج إلى عدة أعوام، بات اليوم حقيقة راسخة، تحقّقت على أيدي أبطال المقاومة الفلسطينية الذين دخلوا وأدخلوا معهم سائر حركات المقاومة الفلسطينية التاريخ من أوسع أبوابه.

على المستويين الاستخباراتي والأمني، مُنيت "دولة" الاحتلال بفشل كبير وشديد، إذ على الرغم من مشاركة الآلاف من مقاتلي القسام في الهجوم على ٥٠ موقعاً عسكرياً لجيش الاحتلال على طول حدود قطاع غزة، لم تصل معلومة مسبقة إلى جيش الاحتلال، وعاش صدمة المباغتة، وكانت الضربة الأولى للمقاومة ذات تأثير كبير جداً في قواته وقدرته على فهم ما يجري. أمّا على المستوى العسكري، فانهارت منظومة الاحتلال العسكرية مع الضربة الأولى للمقاومة، وباتت فرقة غزة، التي تتكون من نحو ٢٠ ألف جندي، عاجزة وغير قادرة على صد الهجوم، فتم اقتحام الخطوط الدفاعية كلها عند حدود غزة والوصول إلى المستوطنات في غلاف غزة، ثم السيطرة عليها.

وتركّز الجهد العسكري للمقاومة على استهداف أماكن السيطرة والتحكم لفرقة غزة التابعة للمنطقة الجنوبية في جيش الاحتلال، إلّا أن الضربة الموجعة هي وصول طلائع وحدات النخبة للمقاومة إلى قيادة الفرقة في قاعدة "رعيم"، وتواصل الاشتباكات داخلها طوال ساعات، وهو الأمر الذي شلّ الفرقة بالكامل ومكّن المقاومة من السيطرة على كامل الغلاف.

وجاء توقيت العملية بصورة مدروسة من جانب قيادة المقاومة بعد الأعياد اليهودية مباشرة، ووفق ساعة صفر تم تحديدها عبر معطيات ميدانية دقيقة، مكّنت المقاومة من إدخال الاحتلال في حالة صدمة لم يعشها منذ ٥٠ عاماً.

وحمل التوقيت دلالات واضحة على أن المقاومة هي من تختار الوقت الملائم للردّ على جرائم الاحتلال، إذ قدّرت قيادة المقاومة أن هذا هو الوقت الملائم لمواجهة الحكومة اليمينية المتطرفة، والتي تريد تغيير الواقع في المسجد الأقصى وتسعى لضم الضفة الغربية. المعركة، التي فتحتها المقاومة، تدرك تبعاتها، وهي مستعدة بصورة جيدة للتعامل مع كل السيناريوهات فيها، بما في ذلك سيناريو المفاجأة. لهذا، تأتي هذه المعركة بعد دراسة وتمعّن كبيرين بشأن جميع المستويات الميدانية والسياسية والعسكرية، واستعداد وتجهيز استمرّا أعواماً طويلة.

المعركة التي فتحتها المقاومة، تدرك تبعاتها، وهي مستعدة بصورة جيدة للتعامل مع كل السيناريوهات فيها، بما في ذلك سيناريوهات المفاجأة

وعلى المستوى السياسي، أثبتت المقاومة الفلسطينية أن منطلقاتها السياسية ثابتة، وأنها لن تتوقف عن حماية الثوابت الفلسطينية والمقدسات، وأن كلّ الوعود السياسية التي أطلقتها، بشأن حماية المسجد الأقصى وتحرير الأسرى من سجون الاحتلال، لها رصيد على ارض الواقع، وأنها لا تبيع الوهم ولا تبيع الشعارات لأحد، بل إن عملها مصدِّق لقولها دائماً.

هذه العملية اليوم جاءت نتاج فشل الجهود السياسية التي استمرت عامين، بعد معركة سيف القدس، من أجل وقف الجرائم والمخططات الإسرائيلية تجاه المسجد الأقصى والمدينة المقدسة، بالإضافة إلى مماطلة الاحتلال في إجراء صفقة تبادل أسرى بين المقاومة والاحتلال. كل هذه العوامل دفعت المقاومة الفلسطينية إلى تسريع العملية، وحذّرت قيادات كبرى من المقاومة الاحتلال عدة مرات، على لسان القائد العام لكتائب القسام محمد الضيف وقائد حركة حماس في غزة يحيى السنوار، الذي أكد أنه إن لم يتم حل ملف الجنود الأسرى حتى منتصف العام الجاري، فإن حماس ستطوي صفحتهم، وستُوجد حلولاً أخرى.

ومن ناحية سياسية، أثبت حركة حماس أن عملها يأخذ بعداً استراتيجيا من أجل التحرير، وكان لعدم دخولها المعركة، في أيار/مايو من العام الحالي، سبب منطقي، مفاده أنها لن تذهب إلى معركة يكون الاحتلال مستعداً لها، بل أكدت أنها هي من تختار التوقيت الذي يفتح باب النصر للمقاومة.

التحليل الإخباري

خلال الاسبوع المقبل؛

زيارة السوداني لروسيا.. آفاق اقتصادية وامنية و سياسية

عادل الجبوري
كاتب ومحلل سياسي

يتوجّه رئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني الأسبوع المقبل إلى موسكو على رأس وفد حكومي كبير يضم عددًا من الوزراء والمستشارين والخبراء، في إطار زيارة رسمية لروسيا تستمر ثلاثة أيام، يجري خلالها مباحثات مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بشأن جملة من الملفات الاقتصادية والأمنية والسياسية، فضلًا عن إبرام حزمة من مذكرات التفاهم والاتفاقيات في مجالات مختلفة، إلى جانب تفعيل بعض الاتفاقيات السابقة التي تأخّر تنفيذها لأسباب وظروف سياسيّة قاهرة.

وتعدّ زيارة السوداني المرتقبة لروسيا الأولى له منذ توليه منصب رئاسة الوزراء في العراق قبل حوالي عام، علمًا أن كل رؤساء الوزراء السابقين بعد الإطاحة بنظام صدام في ربيع عام ٢٠٠٣، كانوا قد زاروا روسيا. فضلًا عن ذلك، فإنّ العديد من كبار المسؤولين الروس قد زاروا العراق على امتداد عشرين عامًا الماضية، وكان آخرهم وزير الخارجية الحالي سيرجي لافروف الذي قدم إلى بغداد في شهر شباط/فبراير الماضي، حيث أجرى لقاءات ومباحثات معمّقة وبنّاءة مع كبار الساسة والمسؤولين العراقيين تمحورت حول جملة من الملفات والقضايا الخاصة والإقليمية والدولية، لا سيما ما يتعلق منها بسبل وآليات تطوير وتعزيز العلاقات العراقية الروسية بشتّى الجوانب والمجالات.

ورغم العديد من الضغوطات والعراقيل الأميركية، إلّا أنّ علاقات بغداد مع موسكو شهدت تحوّلات مهمة وملفتة. فعلى الصعيد الاقتصادي، سجّلت كبريات الشركات الروسية النفطية، مثل شركة "لوك أويل"، و"غازبروم"، و"روزنفت"، حضورًا متميزًا ومؤثرًا في قطاع النفط العراقي. وهذه الشركات الثلاث لديها مشاريع استثمارية كبيرة في حقول نفطية بمحافظتي البصرة وواسط، وكذلك في إقليم كردستان العراق.

إلى جانب ذلك، فإنّ روسيا ساعدت العراق ودعمته في حربه ضد الإرهاب الداعشي التكفيري، فهي فضلًا عن تزويده بأسلحة ومعدات ثقيلة ومتوسطة مختلفة، من بينها الطائرات الحربية، فإنها دخلت على خط التنسيق والتعاون الاستخباراتي المباشر معه، من خلال تشكيل غرفة عمليات استخباراتية في أيلول/سبتمبر من عام ٢٠١٥، ضمت كل من العراق وإيران وسوريا وروسيا، وقد كان لذلك التنسيق والتعاون الاستخباراتي أثر كبير جدًا في دحر "داعش" في كل من العراق وسوريا.

وبخصوص الحرب الروسية الأوكرانية التي اندلعت في الرابع والعشرين من شهر شباط/فبراير من عام ٢٠٢٢، فإن العراق تبنّى مواقف متوازنة، وشدد على ضرورة إنهاء الحرب في أسرع وقت، دون أن ينساق وراء التصعيد الأميركي-الغربي ضد روسيا الذي بدا واضحًا أنه يرتبط بحسابات وحقائق الصراع العالمي، ونزعات الولايات المتحدة في الاحتفاظ بهيمنتها العالمية بلا منافسين أقوياء مثل روسيا والصين.

وفي خطوة لافتة -وربما نادرة- رحّب الرئيس الروسي بالزيارة المرتقبة لرئيس الوزراء العراقي لروسيا، إذ قال في كلمة له أمام أعضاء منتدى (فالداي) للحوارات، "نرحّب بالزيارة المرتقبة لرئيس الوزراء محمد شياع السوداني إلى روسيا، حيث سنناقش معه قضايا الأمن في المنطقة والعراق"، مؤكدًا ثقته بأن "الزيارة ستكون مثمرة وستأتي في الوقت المناسب".

مجزرة الكلّية الحربيّة في حمص.. الجريمة أمريكية

حيّان نيّوف
موقع العهد الاخباري

لم يكن ما حدث في سوريا حدثاً عادياً بل يندرج في إطار الإرهاب والإجرام الدولي المنظم، طائرات مسيرة تحمل مواد متفجرة استهدفت حفل تخرج طلاب الكلية الحربية في مدينة حمص وسط سوريا بعيد انتهاء مراسم الحفل مباشرة وأثناء تجمع الطلاب الضباط وأهاليهم في ساحة الإحتفال، ونتج عن الهجوم ارتقاء ٩٠ شهيداً بينهم ٣١ من النساء و٥ أطفال و ٢٧٧ جريحا في حصيلة غير نهائية.

بيان وزارة الدفاع السورية وجه الإتهام للعصابات الإرهابية المدعومة من جهات دولية معروفة وأكد بالرد على تلك العصابات ومن خطط لها، وعلى الفور بدأت وحدات الجيش السوري باستهداف مقرات ومراكز التنظيمات الإرهابية في إدلب وريف حلب الشرقي وريف حماه الشمالي بوابل من القصف المدفعي والصاروخي والجوي، والذي انضمت له لاحقا البوارج الحربية الروسية من البحر.

بالعودة إلى العملية الإرهابية من الواضح وبلاشك بأن من خطط لها يمتلك تقنيات وتكنولوجيا عالية الدقة مكنته من استخدام طيران مسير حديث و التحكم به من مسافات بعيدة وتنفيذ الجريمة بشكل دقيق، وهو ما يؤكد بأن هذا العمل الإرهابي تقف خلفه دولا لديها تكنولوجيا عسكرية متطورة وتقف خلفة اجهزة استخبارات محترفة، لا يمكن لتنظيمات إرهابية ان تقوم به بمفردها. إن قراءة الحدث إقليميا ودوليا تدفع للقول بإن الولايات المتحدة تتجه لخيار كسر معادلات التهدئة القائمة والدفع باتجاه إعادة خلط الأوراق في سوريا والإنتقال إلى مرحلة جديدة من التصعيد.. فما هي خلفيات ودوافع واهداف الولايات المتحدة من هذا التصعيد؟

بالنظر إلى المشهد الإقليمي و الدولي فإنه يمكن إيجاز الخلفيات و الدوافع الأمريكية بالآتي:

إن إدارة بايدن تسعى لتحقيق إنجاز إقليمي او دولي يشكل رافعة لها في ظل التنافس الشديد والإنقسام الذي تشهده الجبهة الداخلية الأمريكية ومع اقتراب الدخول في معركة الإنتخابات الرئاسية الذي ستجري بعد عام من الآن.

تخشى الولايات المتحدة أجواء المصالحات التي تعيشها المنطقة خاصة المصالحة السعودية - الإيرانية والسورية - العربية، وهو ما يشكل خطرا على نفوذها الإقليمي.

فشل الولايات المتحدة في مخططها الرامي لإغلاق الحدود العراقية - السورية ، بالإضافة إلى الفشل في تحويل السويداء في الجنوب السوري إلى بؤرة توتر جديدة بعد الحكمة التي اظهرتها القيادة السورية في التعاطي مع احداث السويداء.

شكلت زيارة الرئيس بشار الاسد إلى الصين مؤخرا والاهمية الإستراتيجية لهذه الزيارة وإعلان الجانبين السوري والصيني التوقيع على اتفاق شراكة استراتيجية بينهما ، شكلت عامل قلق بالنسبة لواشنطن التي تسعى لإفشال التغلغل الصيني في الشرق الأوسط.

تدرك الولايات المتحدة بأن مشروعها الذي طرحته في قمة العشرين "مشروع الممر الهندي السعودي الأوروبي" لن يكتب له النجاح طالما انه يمر في مناطق جغرافية يسيطر عليها محور المقاومة بشكل او بآخر.

تسعى الولايات المتحدة لإنجاز اتفاق التطبيع السعودي - الإسرائيلي في اسرع وقت ممكن وإعلان اتفاق الشراكة الاستراتيجية بين الرياض وواشنطن وتدرك جيدا بأن دمشق ما زالت تمتلك التاثير المعنوي والعملي لمعارضة التطبيع، ولمنع اندماج الكيان الصهيوني في المحيط الإقليمي. كما تسعى الولايات المتحدة إلى إفشال اي تقارب سوري -تركي خاصة في ظل عمليات القصف الجوي التي تنفذها تركيا ضد "قسد" في الشمال والشمال الشرقي والتي تخشى واشنطن ان تترك تاثيرا على الواقع الميداني هناك، هذا بالإضافة إلى رغبة واشنطن في إفشال المبادرة الإيرانية للحل بين سوريا و تركيا والتي أعلن عنها مؤخرا.

فشلت الولايات المتحدة في تفجير القوقاز من جديد بعد أن انجزت اذربيجان عملية خاطفة في قره باغ خلال ٢٤ ساعة، وبعد الموقف الحكيم لكل من طهران وموسكو بعدم الإنجرار للصراع هناك، وما نتج عن ذلك من تحولات جيوسياسية من الممكن ان تسهم في انتقال العلاقة بين اذربيجان وكل من طهران وموسكو إلى الشراكة بدلا من الصدام، وهو ما يعني لاحقا زوال النفوذ الاميركي من المنطقة.

إن العمل الإرهابي الجبان الذي استهدف الكلية الحربية في مدينة حمص السورية هو إرهاب دولي امريكي اولا وثانيا وثالثاً، وأن الولايات المتحدة تعمدت ان يكون حجم هذا العمل الإرهابي كبيرا وتريد القول بأنها ما زالت قادرة على خلط الاوراق من جديد على المستوى الإقليمي والدولي، وقد أرادت إيصال رسائلها بهذه الطريقة الوحشية واللاإنسانية. لكن في ذات الوقت فإن هذا العمل الدنيء يعكس مدى الوضع المأزوم الذي وصلت إليه الولايات المتحدة على المستوى الداخلي والخارجي والمأزق الذي اصاب استراتيجياتها الإقليمية والدولية، وأن عالم اليوم لم يعد كما كان بالأمس بل عالما جديدا يولد وليس باستطاعتها إيقاف ذلك مهما مارست من إرهاب دولي.

هذا العمل الدنيء يعكس مدى الوضع المأزوم الذي وصلت إليه الولايات المتحدة على المستوى الداخلي والخارجي والمأزق الذي اصاب استراتيجياتها الإقليمية والدولية